صورة الذات وصيرورة الهوية لدى المراهقة المغتصبة
- دراسة تحليلية –

The image of the self and the identity of the adolescent raped - An analytical study-

1. د. **بن بردي مليكة / جامعة برج بوعريريج.**
2. أ.د. **بعلي إكردوشن زاهية / جامعة ورقلة.**

- الملخص

تدور الدراسة الحالية حول اجتياح صدمة الاغتصاب للمعاش النفسي للمراهقة وصورة الذات، أسس الهوية والتقمصات لديها. حيث نحاول، تناول إعادة التنظيم للاستثمارات وتصور الذات من جهة، ومن جهة أخرى أثر تصور العلاقات في مرحلة المراهقة أين يعاد إحياء الصراعات الطفولية تحت وطأة البلوغ.

لتوضيح فرضيتنا قمنا بمقابلة 35 مراهقة تعرضت للاغتصاب ويتواجدن بمركزي إعادة التربية لتأهيل الإناث (البليدة وتبسة).وقد اعتمدنا في دراستنا على منهج دراسة الحالة المعتمد على المقابلة العيادية واختبار الرورشاخ.

أوضحت الدراسة أن أغلبية الحالات لديهن هشاشة في بناء المواضيع الداخلية وكانت صورة الذات ذات طبيعة هشة، كما ظهرت مشاكل على مستوى الهوية حيث ظهرت هشاشة على مستوى الحدود التي كانت أكثر جلاء في اختبار الرورشاخ. تأثرت التقمصات بهذا النقص فبدا اتخاذ القرار فيما يخص الفروق الجنسية إشكاليا. تأصلت هذه المشاكل من إعادة إحياء الصراعات الطفولية خلال المراهقة والتي وضعت الإمكانيات الإرصانية للأنا في اختبار وكذلك من صدمة الاغتصاب والعمر الذي حدث فيه.

فقد ظهر أن مواجهة الصدمة والمعنى الذي تأخذه، يرجع إلى القواعد النرجسية التي حققتها المراهقة وكذلك قوة الأنا، لديها، في تلك المرحلة والمساندة التي يأتي بها المحيط.

الكلمات المفتاحية: صورة الذات، صيرورة الهوية، المراهقة ،الصدمة النفسية، الاغتصاب.

- Résumé

La présente étude s’intéresse au traumatisme d’abus sexuel et le vécu psychique chez l’adolescente abusée. Il s’agit de vérifier, l'image de soi, les assises identitaires et le processus d'identification, chez

l'adolescente abusée. Nous nous intéresserons à la réorganisation de l'investissement de la représentation de soi et à l'impact des représentations de relations, qui coïncident avec les remaniements relatifs aux changements pubertaires.

Cette étude clinique est basée sur l'étude de cas aux moyens de l'entretien clinique semi-directif et le test de Rorschach.

35 adolescentes ont participé à notre étude, chez lesquelles l'abus sexuel, ces adolescentes abusées étaient résidentes des Centres de rééducation des jeunes filles de Tébessa et de Blida.

Notre étude laisse apparaitre que la quasi-totalité des cas étudiés avaient une relation archaïque à l'objet, l'image de soi chez elles était de nature fragile. Il en a été de même concernant le niveau de l'identité; notamment s'agissant des limites entre le soi et l'objet. Ce constat est très explicite à travers les résultats du test projectif Rorschach.

Les indentifications féminines sont influencées négativement par ce manque primaire: la prise de décision en matière de différenciation sexuelle était problématique. Ces difficultés ont prit leur origine de la réactivation des problématiques infantiles à l'âge d'adolescence, qui mettent à l'épreuve les capacités d'élaborations du moi, et aussi du traumatisme de l'abus et l'âge de sa survenue.

Il s'est avéré que faire face au traumatisme de l'abus et du sens qu'il prend, chez l'adolescente, dépendent de la qualité des assises identitaires et aussi de la force du moi jusque-là réalisées, mais aussi du soutien de l'environnement.

- Les mots clé: image de soi -processus identitaire - adolescence - viol- traumatisme.

- مقدمة:

إن البيئة التي نعيشها قد تحتوي على مثيرات ومفاجئات من وقت لآخر قد تحمل مواقف صعبة ليس من شأنها أن تخدم صحة وتوازن السير النفسي السوي لنمو الفرد، ومساعدة المراهقة على الإستدخال الجيد للصراعات النمائية السابقة.

وما يزيدها حدة إذا تزامنت مع خصوصيات مرحلة النمو فلا تتمكن من التحكم فيها أو استيعابها لشدتها وخطورتها على نمو الجهاز النفسي فحدوثها المفاجئ يهدد أمن الفرد، ويزيل فكرة الموت المؤجل فتدفعه للتفكير في احتمال وفاته في أي لحظة من لحظات حياته وتصبح بمثابة صدمة نفسية عنيفة.

قد تتنوع الصدمات النفسية من كوارث وحروب وعنف جماعي أو فردي كصدمة الاغتصاب الذي بعد هيمنة وتحطيم يصيب الضحية في خصوصيتها وفي اندماجها الشخصي مما يزعزع الشعور بالثقة بالنفس وبالآخرين.

أفاد المفتش الجهوي للشرطة لناحية الوسط رابح محمود خلال عرضه لحصيلة نشاطات الشرطة القضائية لناحية الوسط بأن عدد الأطفال ضحايا العنف خلال سنة 2015 بولايات الوسط 1146مقابل 1210 سنة 2014 فيما تم تسجيل 309 جريمة اعتداء جنسي مقابل 363 سنة 2014، بينما بلغ عدد الأطفال في حالة الخطر المعنوي خلال نفس السنة الفترة 653 طفل مقابل 725 حالة مسجلة في 2014 **(مجلة الشرطة،2016، 178-179).**

لا يمكن اعتبار الأرقام الصادرة عن الإحصائيات أرقام حقيقة وواقعية وذلك بسبب عدم إبلاغ كل الضحايا عن الجرم الذي يقع عليهن اللواتي يعزفن عن الإبلاغ للخجل والخوف والشعور بالذنب ويزداد هذا الشعور في المجتمع الشرقي أين توصف ظاهرة الاغتصاب والعنف الجنسي بالقضية الخرساء.

من هذا المنطلق،توضح الدراسة المعاناة النفسية للمراهقة المغتصبة من خلال نظرتها لنفسها ونظرة المجتمع لها ومحاولة منا لكسر حاجز الصمت والخوف لدى المتعرضات له وإسقاط رمز السرية لدى العائلة.

أولا.الجانب النظري:

1- إشكالية الدراسة:

استخدم مصطلح مفهوم الذات من فترة مبكرة لدى الكثير من الباحثين والمنظرين أمثال: البورت، وجيمس، وكوميس، للإشارة إلى خبرة الفرد بذاته وباعتباره تنظيما إدراكيا من المعاني والمدركات التي يحصلها ويكتسبها الفرد والتي تشمل هذه الخبرة الشخصية بالذات، وبهذا يختلف المصطلح تماما عن الكثير من المفاهيم السيكولوجية التي تتداخل أو تتشابه معه في الصياغة **(سهير، 2000، 116).**

يرتكز بناء الهوية على صورة جسمية متماسكة وعلى نجاعة صيرورة التفرد والتمايز عن الآخر، وعن المحيط "يفترض تحقيق الهوية، الاعتراف بالفروق الجنسية وبالفروق بين الأجيال المرتبطة بالأوديب، ما يساهم بدوره في تكوين المعالم التقمصية" **(Schentoub V.et al.,1990, 42)** فتنمو الذات من تفاعل الكائن مع والديه والبيئة التي يعيش فيها فيمتص ويستدخل قيم الآخرين وتنزع الذات إلى الاتساق، وبذلك يسلك الكائن أساليب

تتسق مع الذات فالخبرات التي لا يمكن وضع تصور مع الذات تدرك بوصفها تهديدات كالمواقف العنيفة.

يشير العنف الجنسي إلى أبشع صور السلوك الإنساني الذي يطبق على الفرد و النيل من كرامته وإهانته والمساس بهويته. حيث يتضمن العنف صورا متنوعة تختلف في حدتها حسب الشدة، والتكرار ودرجة قرابة الجاني للضحية خاصة إذا اقترن بالتقارب العاطفي كالمدرسين والأقارب أو الوالدين فالحادثة تمثل صدمة نفسية عنيفة تنكسر بها المحرمات والأخلاق والثوابت الفردية، والأصعب هو تعرض الفرد لصدمة الاغتصاب في الطفولة أو المراهقة.

تعاني الضحية في الغالب من الشعور بالذنب وخاصة في حال زنا المحارم حيث يختلط على الضحية الحب والكره، الماضي والحاضر،(الأب/ الأخ) والمغتصب ولكي تتمكن الضحية من الفصل بين هذه المتناقضات عليها أن تتحرر من الرؤية المشوشة للصدمة ووضعها في إطارها القانوني "إن جزء كبير من إعادة بناء الضحية تكمن في التحرر من القبضة الخطيرة التي تغذي الشعور بالذنب [...] كما لايمكن أن يتم إدراك الوعي بالذات وبالهوية، ولايمكن الشعور بالشخصية الذاتية نفسها في غياب الاعتراف بالحقوق " **(Morbois et Casalis, 2002, 65)**، إنطلاقا من كل ما سبق، نطرح التساؤلات التالية:

- بحكم أن مرحلة المراهقة مرحلة انتقالية، كيف ستظهر لدى المراهقة صورة ذات هشة؟

- كيف ستظهر العلاقة بالموضوع لدى المراهقة المغتصبة؟

2- فرضيات الدراسة:

1- تظهر صورة الذات وصيرورة الهوية هشة لدى المراهقات المغتصبات والتي ستتجلى خلال:

1-1- غياب استجابة مبتذلة في اللوحة الخامسة (التي تمثل لوحة صورة الذات) وكذلك خلال اللوحات المكثفة الأخرى (الأولى، الرابعة والسادسة)؛

1-2- نسبة مبالغة للاستجابات الجزئية الإنسانية والحيوانية مع ارتباطها بمحددات غير مكيفة؛

1-3- عدم تكيف التصورات الإنسانية والحيوانية مع محتوى اللوحة والتي ترتبط بمحددات غير متكيفة.

2- ستظهر العلاقة بالموضوع لدى المراهقة المغتصبة، متأثرة بالانطواء النرجسي، أي سحب جزئي لاستثمارات المواضيع، لصالح الاستثمار النرجسي، والذي سيظهر بدوره من خلال:

2-1 غياب استجابات إنسانية كاملة وظهور استجابات إنسانية جزئية، تشريحية بنسب غير عادية؛

2-2- غياب الاستجابات الحركية والحسية كطريقة لتجميد العلاقات.

عدم القدرة على تناول البعد الجنسي الذكري للوحات (الرابعة والسادسة) والبعد الأنثوي للوحات (السابعة والتاسعة).

تعتبر صورة الذات من أهم المفاهيم العلمية التي اهتم علماء النفس بها بمختلف تخصصاتهم التحليلية والمعرفية والسلوكية، فكيفية نشوؤها وتطورها يرتبط ببناء باقي المحتويات النفسية وتصورها وتزايدت اهتماماتهم بها ولم تقتصر على النشاط البحثي فقط، بل امتدت إلى الملتقيات والمؤتمرات لدراسته والإسهام في تطويره والكشف عن أبعاده النظرية.

3- مفهوم تصور الذات

يعرف التصور حسب المنطلقات النظرية للمفهوم كالآتي:

3-1 مفهوم التصور لغة: يعرف التصور في **منجد اللغة والأعلام(2005، 440):** تصور الشيء أي توهم صورته وتخيله، وتصور له الشيء صارت له عنده صورة وشكل أي تخيله، و تصور له أي الشيء صارت له عنده صورة

3-2 مفهوم التصور اصطلاحا: إن لفعل التصور**(Acte de concevoir)** في الفلسفة الحديثة عدة معاني فهو يدل أولا على كل عمل فكري منطبق على الشيء وهو يدل ثانيا على فعل العقل المضاد للتخيل تمثيليا كان أو مبدعا وهو يدل ثالثا على الفعل الذي به ندرك المعاني او نؤلفها" **(صليبا، 1982، 281).**

أما عند علماء النفس يعرف التصور هو حصول صورة الشيء في العقل فالتصورات **(Concepts)** هي المعاني العامة المجردة، فإذا نظرت إلى المعنى العام من جهة شموله أي من جهة ما يصدق عليه دل على مجموع أفراد الجنس وإذا نظرت إليه من جهة تضمنه دل على التصور الذهني.

يعرف التصور في التحليل النفسي بأنه من المصطلحات التقليدية في الفلسفة علم النفس ويستعمل لدلالة على ما تتصوره وما يكون المحسوس لفعل التفكير و خصوصا

لاسترجاع إدراك سابق، يعارض فرويد ما بين التصور وبين العاطفة، إذ يلقى كل من هذين العنصرين مصيرا مختلفا في العمليات النفسية" **(لابلانش وبونتاليس، 1975، 180).**

من خلال هذا التعريف يتجلى التصور بأنه عمل تفكير وإعادة تذكر فهو استدعاء وإدراك سابق على الساحة النفسية كما يؤكد فرويد على أن التصور يختلف عن العاطفة و يتعارض معها.

3-3- نشأة تصور الذات: استخدم مفهوم الذات منذ فترة مبكرة لدى الباحثين أمثال "ألبورت" و "جيمس" و "ليكي ماسلو" و"ميد"... إلخ . للإشارة إلى خبرة الفرد لذاته و باعتباره تنظيما إدراكيا من المعاني والمدركات يحصلها الفرد والتي تشمل هذه الخبرة الشخصية بالذات، وبهذا يختلف المصطلح تماما عن الكثير من المفاهيم السيكولوجية التي تتداخل أو تتشابه معه في الصياغة اللفظية، كما يبدو مفهوم الذات مصطلحا يصعب تعريفه لذا سنقوم بالتطرق إليه.

فتعرف الذات في الفلسفة القديمة موضوعا قيما للدراسة و المباحث حيث كان أول ما ظهرت فكرة الذات "علم النفس" "**1890**"أنه بالمعنى الواسع هي مجموع ممتلكات الفرد **(وينفر ب. ت.، 1902، 70)** وكان يعتبر من جهة أخرى أن الأنا كمعنى الذات و أن النفس المظهر الروحية و المادية و الاجتماعية ويرى أن القدرات العقلية تتدرج تحت مفهوم النفس الروحية. كما تعرض لها **كافي كوليCooley عام 1902** حيث عرف الذات أنها "مرآة" فقصده بأن الفرد يرى نفسه كما يرى الآخرون.

فموضوع دراسة نشأة تصور الذات هو نشأة الأنا كهيئة للجهاز النفسي فهو مخزن للبيدو الذي يوجه نحو المواضيع.

تعتبر صورة الذات من أهم المحتويات النفسية للجهاز النفسي الذي بدوره اختلفت فيه وجهات النظر في كيفية نشأتها ولكنها تتوافق حول أهمية العلاقة بالموضوع وكيفية إدماجه لبناء المحتويات الداخلية ضمن إطار فاصل بين داخل الجهاز النفسي وخارجه عندها يظهر التمييز بين الأنا وغيره وتحقيق الانفرادية بتصور ذاتي تخص تجاربه الذاتية.

يعتبر التصور من أهم المراحل التي يتوصل إليها الرضيع في نمو جهازه النفسي، حيث تفترض النظرية التحليلية أن الرضيع عند ولادته لا يمتلك تصورات لكن ينشأ التصور من خلال العلاقة الأولية التي يربطها الطفل مع المحيط الذي يعيش فيه.

ففي مرحلة النرجسية الأولى حيث يكون الأنا بدائياً يعيش علاقة اندماج ولا تمايز وباستقباله للمنبهات الداخلية والخارجية خاصة المتأتية من العلاقة الأولية مع صورة الأم التي تؤمن الإشباع والأمن بحضورها لكن عند غيابها يعيد الرضيع تكوين (وهو يهلوس) الإشباع الموفر من قبل أمه فتعد مجمل هذه التجربة (الإشباع الفعلي والإشباع الهلاسي) أي حضور الأم وغيابها بداية العلاقة الموضوعية وهذا المستوى من النمو النفسي هو بداية التصور.

في النمو النفسي يأتي بنشاط التفكير بعد إفراغ أوتوماتيكي لكل شحنات الاستثارة، ثم الاستثارة البدائية المرتبطة بتصورات الأشياء وتصورات الكلمات فنشاط الترميز يسمح بتسجيل التجارب والخبرات.

يتسم نمو الطفل بمختلف التجارب الجسمية والوجدانية والعاطفية، إدماج هذه التجارب التي تؤثر على تطور تصور الذات فهي مستقرة وديناميةفي آن واحد، حيث تستطيع بعض الظروف أن تصيب هذا التصور.

ففي مرحلة المراهقة يعتري الجسم تحولات بيولوجية واضطرابات شديدة في جميع جوانب النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي، وينتج عن هذه التغيرات والاضطرابات مشكلات كثيرة متعددة.

فالمراهق يتعرض إلى تحولات عميقة أثناء نموه تؤدي الى تغيرات في السلوك والتفكير والتصورات " بحيث يضفي عليه اضطراب في التنظيم السيكولوجي ينجم عنه قلق وتألم وكف فيستخدم المراهق ميكانيزمات دفاعية لحماية الأنا بهدف الوصول إلى إعادة التوازن النفسي والتكيف مع الواقع.

فالمراهق يسعى من خلال تجاربه التي تعتبر محاولات ضمن سياق بناء صورة الذات وماهي إلا مرحلة تابعة لما حدث في مرحلة الطفولة من إشباع أو حرمان.

4- مفهوم الهوية :

4-1 التعريف اللغوي: لقد عرفها أحمد بن نعمان على أنها "الهوية من ناحية الدلالة اللغوية هي كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميز أنه التي تعرف بها"؛ الهوية بهذا المعنى هي اسم الكيان أو الوجود على حالة أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناء على مقومات ومواصفات وخصائص معينة تمكن من إدراك صاحب الهوية بعينه دون اشتباه مع أمثاله **(بن نعمان، 1996، 21).**

أما جميل صلبا فيري أن لفظ الهوية على أنها مرادف لاسم الوحدة والوجود وهي تدل على ذات الشيء.. وقال الفاربي:" الهوية الشيء وعينته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد لهن كل واحد والقول أنه هو إشارة هويته وخصوصيته ووجود المنفرد الذي يقع فيع اشتراك **(صليبا، 1982، 530)**، تطلق الهوية على الشخص (أو على الموجود المشتبه بالشخص) إذا ظل هذا الشخص ذاتاً واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه في مختلف أوقات وجوده، ومنه القول هوية الأنا وهوية الفاعل وتسمى هذه الهوية بالهوية الشخصية **(Identité personnelle)**.

ينطوي مفهوم الهوية على شعور الفرد بكونه قادراً على العمل كشخص منفرد، ويعمل على تحقيق تفرده أو تقوية أدواره الاجتماعية وإعادة تقويمه لعلاقاته بعالمه وبالآخرين وتوجهه نحو أهداف محددة، فهي صورة ذاتية معقدة تتطور خلال التفاعل الاجتماعي... يعني أن الفرد يعيش ليحقق توقعاته لنفسه وتوقعات المجتمع أيضا مع سعي الفرد الدائم للمحافظة على استمرار بصورة لهذا الكيان الداخلي أو النفس واعتراف الآخرين بهذا التماثل والاستمرار**(عبد المعطي، 1982، 54)**.

2-4 التعريف النفسي للهوية: وفي قاموس Larousse لعلم النفس تعرف الهوية في علم النفس: هي ميزات الشخص والمواضيع الحقيقية أو تصوراته، أحداث، تعابير... الخ ما تعتبر تستبد ما تدل الواحدة على الأخرى.،أما الهوية الشخصية فهي تلك المتعلقة بنفس الموضوع، بنفس الشخص والتي تحتفظ طوال حياته بهويتها على الرغم من التغيرات الدائمة (النمو، التثبيتات) أو العابرة (الهيئة والقليد) السطحية (اللباس...الخ) **(Grand dictionnaire, 2007, 442)**.

أما**(Coslin, 2000 , 126)** فيعرف الهوية على أنها نظام إدماج وتسوية يتمحور تأسيسه المستمر بفعل عوامل المحيط المتفاعلة مع الشعور الذاتي بالديمومة.

أما **Tab** فيعرف الهوية على أنها مجموعة التصورات والمشاعر التي ينميها الفرد بداخله بمعنى ما يسمح للفرد بالشعور أنه نفسه، وتضمن له البقاء نفسه بتحقيق ذاته، أن يصل بذاته نفسها في مجتمع أو ثقافة معينة في إطار علاقات مكيفة مع مختلف المواضيع الخارجية,**(Lecomte, 1999 , 65)**.

فالهوية، إذن، هي ما يحققه الفرد من تفرد واستقلالية عن الآخرين بناءً على خصائص معينة تضمن له البقاء والشعور الذاتي بالديمومة بفعل تسوية وإدماج كليته وتفاعله مع عوامل المحيط.

5- مفهوم المراهقة : تعددت وجهات النظر في هذا مفهوم في المعنى والدلالة كالآتي :

5 -1- المفهوم اللغوي: قال ابن المنظور في (لسان لعرب) في مادة رهق : " ومنه قولهم: غلام مراهق. أي: مقارب الحلم، قاربه. وفي حديث موسى والخضر: فلو أنه أدرك أبويه لأرهقهما طغيانا وكفرا أي: أغشاهما وأعجلهما.

وفي التنزيل: أن يرهقهما طغيانا وكفرا ويقال: طلبت فلانا حتى رهقته. أي: حتى دنوت منه، فربما أخذه ربما لم يأخذه. ورهق شخوص فلان أي: دنا وأزف وأفد. والرهق: العظمة، ولرهق: الظلم. وفي التنزيل: فلا يخاف بخسا ولا رهقا أي: ظلما، وقال الأزهري: في هذه الآية الرهق اسم من الإرهاق، وهو أن يحمل عليه ما لا يطيقه. ورجل مرهق إذا كان يظن به السوء"**(ابن منظور،2004، حرف الراء).**

تأتي كلمة مراهقة **Adolescence** من الفعل اللاتيني **Adolescere** والتي تعني التدرج نحو النمو والنضج ولا يتضمن النضج النمو الجنسي فقط ولكن أيضا النمو العقلي فمن الناحية الجسمية يعني النمو الوصول إلى حالة النضج والحصول على صفات جسمية تميز الفرد الناضج، فنمو الجهاز الجنسي يجعل التناسل ممكنا **(مجدي، 2003، 223).**

2-5 المفهوم النفسي للمراهقة : في التحليل النفسي المراهقة هي" مرحلة إعادة التنظيم النفسي مهدتها الجنسية الطفلية على المدى الطويل ومختلف الاستثمارات المعقدة التي حدثت في الطفولة وكذلك في مرحلة الكمون" **(Kestemberg,1980, 522)**. فتأتي مرحلة المراهقة وفيها يبحث المراهق من جديد عن ذاته، فهو في طفولته المبكرة قد أحس بهويته، ولكنه فقدها في الأسرة وفي الشلة وفي الولاء لهما، والآن تصبح مشكلة المراهق هي البحث من جديد عن هويته**(خيري، 1976، 94).**

كما يشير مصطلح المراهقة الانتقال من الطفولة إلي الرشد كما يعرفها **دباس M. Debesse"** تعتبر المراهقة عادة مجموعة من التحولات الجسمية والنفسية التي تحدث بين الطفولة والرشد"**(Debesse, 1971, 08)**. فهي الفترة التي تلي الطفولة وتقع بين البلوغ الجنسي وسن الرشد، وفيها يعتري الفرد فتى أو فتاة تغيرات أساسية واضطرابات شديدة في جميع جوانب النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي، وينتج عن هذه التغيرات والاضطرابات مشكلات كثيرة متعددة **(وجيه،1971، 15).**

6- مفهوم الاغتصاب:

1-6 مفهوم الإغتصاب لغة: الاغتصاب على وزن افتعال وهي من الفعل الثلاثي غصب ويقال: غصب فلان على المشي بمعنى قهره، إن لفظة الاغتصاب مأخوذة من الغصب وهو مصدر يقال غصبه بغصبه: أخذه ظلما، كأغتصبه وغصبه فلانا على الشيء: أي قهره وغصبه الجلد بمعنى أزال عنه شعره ووبره نتفا **(القاموس المحيط ،1998، 120).** مما سبق أن الاغتصاب في اللغة يعني الأخذ قهرا وظلما.

2-6 مفهوم الاغتصاب في علم النفس: يعرف الاغتصاب في علم النفس على انه عبارة عن ممارسة الجنس أو الاتصال الجنسي بالقوة ودون موافقة الطرف الآخر وتتدخل عوامل نفسية كثيرة في فعل الاغتصاب، بحيث تتضمن هذه الجريمة قسر الرجل والمرأة على الجماع إشباعا لغرائزه الجنسية والعدوانية في حين تشعر الضحية بالإذلال والمهانة والاعتداء **(العيسوي،2005، 11)**،فهو" مجزرة جنسية تتميز بفعل إدخال العضو الذكري الجنسي (بأي شكل كان) في الشخص الآخر بعنف و إرغام أو مفاجأة" **(Bloch et al, 2007, 988).**

الاغتصاب لا يعتبر علاقة جنسية، ولا يوصف بمعنى الرغبة ففي الاغتصاب الرغبة تكون رغبة إرادية للتخريب وإحداث الألم...فالرغبة في شخص ما يعني معرفة الطرف الآخر كشخص في المقابل ما يحدث في الاغتصاب الطرف الأخر يعني فريسة أين تكون شخصيته محطمة من طرف المغتصب**(Morbois et Casalis, 2002, 21)** ، إن الاغتصاب ليس هو الوجه المخيف للعلاقة الجنسية فقط ولكنه تعبير عن إرادة الهيمنة الجنسية فأصل كلمة اغتصاب **viol** من اللاتينية **violare**والتي تعود مباشرة إلى العنف **violence** ولكن هذا المعنى ليس مجرد من الغموض أو اللبس فالسلب والخطف من اللاتينية **repare** جاءت منها الكلمة الانجليزية rape التي تعني" اغتصاب مع متعة افتتانية هذه الكلمة في الحقيقة مليئة بالبطولية " **(Lopez, 2006, 77-78)**، فالاغتصاب هو "صدمة متعددة لأنه يمس المرأة في كمالها الجسدي وقواعدها النرجسية و هويتها"**(Bouatta, 1999-2000, 74).**

3-6 الاغتصاب في القانون الجزائري: إن جريمة هتك العرض تعتبر من الجرائم التي تتعلق بالاعتداءات على الأشخاص وأعراضهم حيث تناولها المشرع الجزائري في المواد 334 إلى 337 من قانون العقوبات الجزائري حيث أدخلت في الباب السادس في جرائم انتهاك الآداب وعرفها بأنه الفعل المخل بالحياء الذي يقع على جسم شخص من شأنه

المساس بحيائه بصرف النظر عما إذا كان وقع علانية أوفي الخفاء، فالاغتصاب هو الفعل المنصوص والمعاقب عليه من **المادة 336** من قانون العقوبات وقد عبر عنه المشرع الجزائري بلفظ " هتك العرض " والأصح هو الاغتصاب.

يستشف من أحكام القضاء أن الاغتصاب هو مواقعة رجل لامرأة بغير رضاها، وهو التعريف الذي كرسه التشريعان المصري في **(المادة 267 من ق.ع)** والتونسي في **(المادة 227من ق.ع) (بوسقيعة،2013، 103).**

وهكذا فالاغتصاب في القانون الجزائري يعد من جرائم هتك العرض التي تقوم على المعاشرة الجنسية بين رجل وامرأة وعليها دون رغبة منها، دون التطرق لأشكال أخرى من الاعتداءات الجنسية أو كيفياتها بمختلف الوسائل والوضعيات، فمفهوم الاغتصاب يبقى مقتصرًا على وضعية خاصة وفريدة من أشكال الاعتداء الجنسي.

ثانيا،الجانب الميداني

1- منهج البحث: نعتمد على المنهج العيادي الذي يعتمد على دراسة الحالة لأنه الأنسب لدراسة طبيعة صورة الذات وهو المنهج الذي يقوم على معرفة خصوصية و نوعية الهوية لدى المراهقة بعد حادثة الاغتصاب، وهو الطريقة التي ستمكننا من معرفة طبيعة علاقتها مع المواضيع الماضية و الحالية و رؤيتها للمستقبل.

ويظهر في دراسة حالة نشاطين متميزين على الأقل: الواحد يتعلق "بالعمل العيادي الذي يسمح بجمع المعلومات الخاصة بفرد معين؛ يجب على هذه المعلومات أن تكون غنية (ميزة أقصى حد من المعلومات)، ذاتية (ميزة تصور الحالة للمشكل)، الامتداد (ميزة الكلية والتاريخ) والنشاط الثاني يتعلق بإنتاج العيادي لتصور منتظم، مفسر، الذي يكشف عن العناصر الهامة والمحددة في تاريخ حياة الفرد وذاتيته. يجب على هذا التصور أن يستجيب لمبدأ الكلية (عدم عزل الأعراض المعينة، اعتبار الشخص ككلية) ولمبدأ الفردانية (مايهم هو الفرد بخصوصياته، أصالته ما بداخله، تصوراته، تاريخه)"**(Pedinielli J., Fernandez L., 2009, 49 – 50).**

2- أدوات الدراسة: إن من أهم الأدوات المستعملة في دراسة صورة الذات وصيرورة الهوية استنادا للمدرسة التحليلية، هي المقابلة العيادية والأدوات الإسقاطية. لقد اخترنا في بحثنا هذا المقابلة النصف موجهة من بين أنواع المقابلة ذلك لأنها تسمح لنا بالحصول على معلومات تخص الحالة ومحيطها العائلي والاجتماعي، كما تسمح لنا بالسير في اتجاه واضح واقل ضبط وتوجيه مع المحافظة على حرية التعبير عند

المفحوصة. يعتبر اختبار الرورشاخ الأكثر شيوعا واستعمالا في علم النفس حيث يسمح بفهم نوعية العلاقة مع الواقع وفي نفس الوقت إمكانيات الفرد لإدماج واقعه النفسي في نظامه الفكري إذ يجد، هذا الأخير، نفسه أمام ضغوط داخلية وخارجية فيتبين لنا كيف يواجه عالمه الداخلي ومحيطه الخارجي" **(Anzieu et Chabert, 1987, 25-26)**،لقد انصبت الدراسة بتحليل بروتوكول الرورشاخ إلى جانب معطيات المقابلة العيادية لكل حالة على حد.

3- حدود الدراسة الزمانية و المكانية:

3-1 حدود الدراسة الزمانية: دامت الدراسة الميدانية نحو سنتين – عبر ثلاث مراحل خلال الفترة مابين **2015/ 2016 على النحو الآتي:**

- **المرحلة الأولى**: من 2015/03/30 إلى 2015/04/29 في مركز إعادة التربية للبنات بن عاشور لولاية البليدة.

- **المرحلة الثانية**: من 2015/12/15إلى أن تنتهي العمل الميداني في مركز إعادة التربية و التأهيل للإناث بتبسة.

- **المرحلة الثالثة**: من 2016/04/03 إلى 2016 /04/07 في مركز إعادة التربية للبنات بن عاشور لولاية البليدة.

3-2 حدود الدراسة المكانية: لقد تمت الدراسة في مؤسستين لإعادة التربية والتأهيل للأحداث للبنات: المؤسسة الأولى كانت المركز الاختصاصي لإعادة التربية والتأهيل للإناث بالبليدة والمؤسسة الثانية هي مركز إعادة التربية والتأهيل للإناث بتبسة وسار العمل على نحو مرحلي لاختصار الجهد والوقت في كل مؤسسة.

4 مجموعة الدراسة: لقد حددت مجموعة الدراسة بمعايير دقيقة، وبعد مقابلاتهن برزت خصائص المجموعة العامة المعينة للدراسة وكان أهمها:

4-1- معايير مجموعة الدراسة: اعتمدنا في تكوين مجموعة الدراسة على المعايير الأساسية التالية:

- أن تكون مراهقة يتراوح عمرها من 11 إلى 21 سنة.
- أن تكون مراهقة تعرضت لحادثة اغتصاب وأدى لفقدانها غشاء البكارة.
- أن تكون الصدمة النفسية حدثت لها في زمن الكمون أو في مرحلة المراهقة.
- أن تكون أدنى مدة قد مرت على حادثة الاغتصاب 4 أشهر مراعاة لحالتها النفسية وكذلك تجنبا لتأثير استجابة الحالة بحداثة الصدمة.

2-4 خصائص مجموعة الدراسة: تمت الدراسة الميدانية بالالتقاء مع 35 مراهقة مغتصبة حيث نعرض أهم خصائص على النحو الآتي:

1-2-4 الوضعية الاجتماعية للحالات:

جدول رقم (1): توزيع مجموعة أفراد البحث حسب الوضعية الاجتماعية للحالات.

المركز	الوالدين متواجدين معا	في حالة طلاق	وفاة أحد الوالدين	مجهولة النسب
البليدة	33/9	33/9	33/4	33/11
تبسه	02/0	02/1	02/1	02/0
المجموع	%26	%29	%14	%31

يظهر من خلال الجدول رقم (1) أن نسبة المراهقات اللواتي يتواجدن بمركز إعادة التربية والمتعرضات لحادثة الاغتصاب و اللواتي يتواجدن في وضعية خطر معنوي يتوزعن على أربع فيما يخص وضعيتهن الاجتماعية حيث ظهرت كما يلي: فئات أعلى ترتيب مجهولات النسب نسبتهم (31%) من مجموعة البحث أما الفئة الثانية من العدد الكلي هم الوالدين في حالة طلاق (29%) أما الفئة الثالثة المتمثلة في فئة المراهقات اللواتي تربين مع الوالدين في نفس البيت تمثل نسبتهم لباقي الحالات (26%) أما النسبة الأخيرة (14%) فتمثل مجموعة المغتصبات اليتيمات بوفاة أحد الوالدين.

4 -2-2 المستوى الدراسي لحالات مجموعة البحث:

جدول رقم (02) : توزيع مجموعة أفراد البحث حسب المستوى الدراسي.

المستوى الدراسي	لم تدخل المدرسة	اولى ابتدائي	ثالثة ابتدائي	رابعة ابتدائي	خامسة ابتدائي	اولى متوسط	ثانية متوسط	ثالثة متوسط	رابعة متوسط	ثانية ثانوي	المجموع
البليدة	1	1	1	2	3	9	3	3	9	1	33
تبسة	0	1	0	0	0	0	0	0	1	0	2
التكرار	1	2	1	2	3	9	3	3	10	1	35
النسبة	2%	6%	2%	6%	9%	29%	9%	9%	29%	2%	100%

يتضح من خلال الجدول السابق أن أغلبية الحالات لديهن مستوى دراسي متوسط أكبر نسبة هي (29%)وتمثل 10 حالات لديها مستوى رابعة متوسط أما أولى متوسط فهي تتمثل في 9 حالات وتعادل نسبتها (26 %) أما أعلى مستوى دراسي تمثله حالة واحدة

هو ثانية ثانوي تظهر بنسبة 2% التي تعادل وضعية حالة واحدة لم تدخل للمدرسة قط.

5- نتائج لدراسة: أظهر تحليل المعطيات مؤشرات عديدة أهمها:

- وضح تحليل المقابلات أن نسبة 48 %من الحالات لديهن انطباع سيء عن طفولتهن، ونسبة28% لديهن انطباع متناقض فتدل هذه التصورات على مدى معاناة المراهقات في مرحلة الطفولة، وهو ما تؤكده نهى القاطرجي في قولها "إذا تم إلقاء نظرة سريعة على عدد من نقص العطف والحنان داخل أسرهم نتيجة إهمال قواعد التربية الصحيحة فيمكن أن يستنتج عندها الصيد الهائل الذي يمكن أن يحصل عليه المعتدون" **(القاطرجي، 2003، 357)** فطفولتهن تحمل صورا ورموزا من النبذ والتجاهل والتخلي فهي طفولة مشتتة ومتذبذبة لا تساعد المراهقة على إدماج صورة جيدة لذاتها تمكنها من تحديد هويتها بفاعلية وإيجابية وتمنحها قدرة لإرصان صدمتها الجنسية.

- اختلف تصريح الحالات عن تقبلهن للبلوغ وخصائص الأنوثة من واحدة لأخرى حسب المورث التاريخي لتصورات الأنوثة أي علاقتها بأمها أولا وما تمثله الأنثى من تصورات لديها وهذا يرجع في رأينا لنوعية العلاقة مع الآخر من حب وكره واهتمام... الخ، والمواقف التي عايشنهن كالعنف؛ الإهانة؛ الإزدراء؛ النبذ، التجاهل ... إلخ، وأوضح تحليل المقابلات أن علامات تقبل البلوغ كانت بنسبة (66%) لكل الحالات وهي نسبة تشير إلى النمو العادي وتلعب دورا هاما في تحديد هوية جنسية محددة.

- كما لاحظنا علامات تجريح الذات بنسبة (51%) من مجموع أفراد الدراسة كن يعتمدن تقطيع الذات كاستجابة للأحداث الضاغطة أو لتحرير بعض الانفعالات، وهو يعد كآلية دفاعية للتكيف مع الوضعيات الصعبة التي يمرن بها. تقطيع الذات هو عرض لابد من تفسيره وتأويله من خلال وجهته البين شخصية والضم-نفسية للأفراد ويعكس الوجهة النموذجية للتقمص اللاشعوري مع الموضوع السيئ،

6- تحليل معطيات اختبار الرورشاخ: ومن خلال تحليل بروتوكولات الرورشاخ نبرز أهم المؤشرات كالآتي:

- يظهر أن البروتوكولات اتسمت بإنتاجية عامة اتجهت نحو الكف والميل العام للاختصار عند أفراد مجموعة الدراسة، إذ قدر متوسط عدد الإجابات ب (R =14.71) إجابة، وهو ما يتناسب مع ما توصلت إليه الدراسة الجزائرية التي قام بها كل من سي موسي عبد الرحمان ومحمود بن خليفة حول الإنتاج الإسقاطي للمراهقين.

- ووضح تصنيف المعطيات انخفاض الإجابات المبتذلة إذ قدرت ب 83 إجابة أي بمعدل إجابتين(02) للحالة الواحدة في الغالب قدمن إجابة أو إجابتين كحد أقصى، مما يدل عن عجز المراهقات عن التكيف مع لوحات الاختبار وبالتالي مع الواقع الخارجي، أما بالنسبة لترتيب اللوحات من خلال معدل شيوع الإجابات، فسجلت اللوحة (V) نسبة 66% وهو راجع بالدرجة الأولى لطابعها الموحد، أما بالنسبة للوحة الأولى (I) فكانت مبتذلة بنسبة 34%أما اللوحة (IV) فكانت نسبة ظهورها شائعة 17% بالإضافة لظهور اللوحة (VI) بنسبة 8%، وقد يدل هذا المؤشر على أبسط إدماج لصورة الذات ووحدتها وهو مؤشر على وجود ركائز الهوية.

- كما سجلنا انخفاضا في نسبة المحتويات الإنسانية الكاملة عند أغلب الحالات، وهذا يعطينا فكرة عن عدم قدرة المفحوصات لدمج المحتويات البشرية إلا من خلال تركيبها مع محتويات أخرى طبيعية أو حيوانية أو شيئية ...إلخ، ويمكن تفسير هذا بالوضعية الدفاعية التي تتواجد فيها هاته المراهقات والكف الشديد في العلاقات الإنسانية والعجز في استحضار صور إنسانية مدمجة مما نتج عنه قمع وكف شديدين لدى بعض المراهقات.

- في المقابل، يظهر ارتفاع شديد للمحتوى الحيواني خصوصا عند اللواتي سجلن انخفاض المحتويات الإنسانية، الذي ارتبطت بالهدم والصور المعتدى عليها معبرة بذلك عن بالتجزؤ والقلق البدائي. كما ظهرت التصورات في اللوحات الموحدة والتي أثارت عند هذه المجموعة، حركات عدوانية تمس مباشرة الغلاف الجسدي (حيوان مجروح، ينزف بالدم، مقطوع، مقسوم .. إلخ).

7- تحليل نتائج الدراسة ومناقشة الفرضيات: بعد تحليلنا للمعطيات المتحصل عليها توصلنا إلى نتائج أجابت عن تساؤلاتنا ومكنتنا بذلك من التوصل إلى:

تحقق الفرضية الأولى التي نصت على أنه ستظهر صورة الذات وصيرورة الهوية هشة لدى المراهقات المغتصبات؛ حيث أكدت أن أغلب حالات مجموعة أفراد الدراسة أن لديهم صورة ذات وصيرورة الهوية هشة.

تحقق الفرضية الثانية التي نصت على أنه ستظهر العلاقة بالموضوع لدى المراهقة المغتصبة، متأثرة بالانطواء النرجسي، أي سحب جزئي لاستثمارات المواضيع، لصالح الاستثمار النرجسي حيث أكدت أن اغلب حالات مجموعة الدراسة ظهرت لديهم العلاقة بالموضوع متأثرة بالانطواء النرجسي.

وتبقى مرحلة المراهقة فرصة للمراهقة لكي تعدل فيها التماهيات والهويات المناسبة التي تمكنها من تحقيق التوافق والتأقلم مع بيئتها السوسيو ثقافية.

هذا يجعلنا نؤكد على وجود صبغة فردية واختلاف في معايشة صدمة الاغتصاب تتسم بها كل مراهقة رغم توحد الصدمة من حيث نوعها، كما لا يفوتنا أن ننبه إلى خصوصية مرحلة المراهقة التي تتسم بإعادة تحريك وبناء الصراعات السابقة التي تهدد الهوية والتقمصات.

8- إقتراحات الدراسة:

إن أهمية أي دراسة ترتبط بقدر إسهامها في التصدي للمشاكل الواقعية التي يعاني منها المجتمع بطريقة إجرائية، وبحثنا هذا، يتناول مشكلة اجتماعية نفسية تعاني منها مراهقات وتجاهل هذه المشكلة يعني تفاقمها مستقبلا ومن أهم الأفكار والاقتراحات للدراسة هناك:

- تقترح بضرورة التوسع في تطبيق الحد الأقصى للعقوبة في جرائم الاغتصاب.
- وجوب إدراج التربية الجنسية ضمن المقررات والبرامج التربوية التوعوية للكشف عن السرية المحاط بها كل ما يدور حول الجنس.
- نقترح بإجراء شبكة اجتماعية متخصصة ترصد مؤشرات العنف على التلاميذ في المدراس الملاحظ من خلال ملاحظات الأساتذة وإنتاج التلاميذ للبحث في البيئات الأسرية المضعفة.
- نوصي بتجهيز المدارس والمتوسطات والثانويات بأخصائيات نفسانيات متكونات في التكفل بضحايا العنف خاصة العنف الجسدي والجنسي

- المراجع:

1- المراجع بالعربية

01- ابن منظور. (2004). **لسان العرب**: مادة رهق حرف الراء. بيروت: دار صادر.

02- العيسوي، عبد الرحمان، (2005)، **الانطواء النفسي والانتحاري**،عالم الفكر، (1976)، المجلد السابع، العدد الثالث .

03- القاطرجي نهى. (2003). **الاغتصاب دراسة تاريخية نفسية اجتماعية**. لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

04- القاطرجي نهى. (2003). **جريمة الاغتصاب في ضوء الشريعة الإسلامية و القانون الوضعي**. ط1. بيروت: مجد للمؤسسات الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.

05- بوسقيعة، ح. (2013/2012). **الوجيز في القانون الجنائي الخاص**. ج 1. ط 15. الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع .

06- مجدي، أ. ع. (2003). **النمو النفسي بين السواء والمرض**. مصر: دار المعرفة الجامعية.

07- حب الله عدنان. (2004). **التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد إلى لاكان**. لبنان: دار الفارابي.

08- حب الله عدنان. (2006). **الصدمة النفسية**. لبنان: دار الفارابي.

09- سي موسي، عبدالرحمان.، زقار رضوان. (2002). **الصدمة والحداد عند الطفل والمراهق**. نظرة الاختبارات الإسقاطية. الجزائر: جمعية علم النفس للجزائر العاصمة.

10- شرادي نادية. (2006). **التكيف المدرسي للطفل والمراهق على ضوء التنظيم العقلي**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

11- شرادي نادية. (2008). **الحلم تجربة نفسية خاصة**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. مجلة الشرطة الجزائيرية. 2016. الصادرة بتاريخ مارس. العدد130. ص. 178-179.

2- المراجع الأجنبية:

Anzieu , D. (1995). Le moi – peau. Paris: Dunod.

Anzieu, D. et Chaber, C. (1987). Les méthodes projectives. Paris: PUF .

Anzieu,D. et Chabert,C. (1993). Les méthodes projectives, 7ème éd. Paris: P,U,F .

Finchel O. (1979). Là théorie psychanalytique des névroses. Paris: P.U.F. 3éme édition,

Freud, S. (1915). Pulsions et destin des pulsions, in Métapsychologie Œuvres complètes, XIII. Paris: PUF. PP. 157-242.

Freud, S. Breuruer, J. (1956). Etude sur l'hystérie, Paris: P.U.F.

Garland, C. (2001). Comprendre le traumatique une approche psychanlytique. France: édition du hublot. P19-33 .

Morbios, C. et Casalis, M. (2002). L'aide aux femmes victimes de viol. France: édition L'esprit du temps.

Numberg, H. (1975). Principes de psychanalyse, leur application aux névroses. Paris:

Moloine S.A , Editeur.

Pedinielli, J. et Feranadez, L. (2005). L'observation clinique et l'etude cas. Armand Colin.
Lopez, G. (2006). Psychotraumatologie, clinique des violenes sexuelles, Paris Dunod.
Kestemberg, E. (1980) la crise de l'adolescence, de la déception à la conquéte In. revue Fançaise de Psyhchanalyse. T.3, 4. PP. 522- 530
Bloch H., et al., (2007). Grand dictionnaire de la psychologie, France Lrousse.
Bouatta, C. (1999-2000). Le viol poly traumatisme, In. Traumatismes, Réactions et Prise en charge. N^0 8. Alger: SARP.